



عمل الطيران الروسي شريكاً في الصراع المسلح إلى جانب النظام السوري، إلا أنه على الرغم من شدة فعالياته في العمليات القتالية، وقدرته العالية على التدمير، وإسقاط عدد أكبر من الضحايا البشرية والمادية، إلا أنه فعلياً لم يستطع أن يغير معادلات الهزيمة والانتصار التي بقيت تتأرجح بين جانبي الصراع المسلح، المحمولين على الدعم الخارجي، سواء لجهة النظام (إيران، روسيا، الميليشيات الطائفية)، أو لجهة المعارضات المسلحة بفضلها ذات التبعات الأيديولوجية والتمويلات الخارجية، أو فصائل الجيش الحر التي توارت بشكل إيجاري تحت ضربات ما تسمى فصائل إسلامية متشددة، طرحت ثمارها المسمومة بحملة اغتيالات واسعة لناشطين سلميين، وقفوا ضد ممارساتهم بكل شجاعة، ومنهم أخيراً الشهيدان رائد الفارس و Hammond جنيد، وكانت عملت على تحجيم دور المعارضة السياسية الوطنية، لتتولى كيانات المعارضات المرتهنة دور الأبواق السياسية لفصائل سلاح الأمر الواقع.

ولكن سقوط طائرتين روسيتين غير وجه الصراع في سوريا، وأعاد توزيع قوى التحالفات، بعد شبه استقرار نحو أربع سنوات متتالية، بين محور إيران الداعم المباشر للنظام، ومعه مليشيات طائفية، يتقدمها حزب الله ومليشيات "فاطميون" و"زينبيون" وغيرها، مقابل فصائل مسلحة محسوبة على "المعارضة"، مدعومة أميركياً وأوروبياً وعربياً، وتدير معظمها تركيا عبر الشمال السوري المفتوح على الحدود السورية بما يقرب من 800 كم، ما هيأ لسقوط الطائرة الروسية بنيران القوات التركية، في نوفمبر/تشرين الثاني 2015، أن تكون البوصلة الجديدة ونقطة التحول في مسار الأحداث في الشمال، وتحديداً في حلب، حيث مركز الصراع على النفوذ بين النظام والمعارضة المسلحة.

كما كان الحال عند الحادثة الثانية بين روسيا وإسرائيل، في 23 سبتمبر/أيلول 2018، والتي أسست لتفاهمات دولية جديدة،

ووسعـت من نفوـذ موسـكو في المـلف السـوري، وقلـصـت من قـدرـة الطـيرـان الإـسـرـائـيلي على استـبـاحة الأـجـواء السـورـية، فـي مقابل استـسلام إـيرـان الصـامت لـمـطـالـب إـسـرـائـيل بالـانـسـحـاب التـدـريـجي من المـنـاطـق الـحدـودـيـة معـها، وـلـاحـقاً لـتـصـريـحـات إـيرـانـية مـهـادـنة لـالمـطـالـب المشـترـكة الإـسـرـائـيلـية الـأـمـيرـكـية، عـلـى الرـغـم من سـرـيان عـقوـبـات الـأخـيرـة عـلـيـها .

وـمع الإـقـرار بـحـجم تـلـك المـتـغـيرـات الـكـبـرى، تـبـدو خـرـيـطة الـحـراكـ الـمـيدـانـي في سـورـية ضـبابـية مع تـحرـيكـ القـوىـ المـتـصـارـعةـ على سـورـيةـ مواـقـعـهاـ بيـنـ فـيـنـةـ وـأـخـرىـ، عـلـى الرـغـمـ منـ الـهـدوـءـ النـسـبـيـ الذـيـ أـعـقـبـ الإـعلـانـ عنـ إـنـهـاءـ الـهـدـنـةـ الـأـمـيرـكـيةـ الـرـوـسـيةـ (ـمـنـطـقـةـ خـفـضـ التـصـعيدـ)ـ فـيـ درـعاـ، عـبـرـ قـصـفـ النـظـامـ وـخـرـقـهـ لـهـاـ، وـنـجـاحـ مـوـسـكـوـ بـعـدـ صـفـقـةـ تـسـوـيـةـ جـديـدةـ معـ الـمـسـلـحـينـ الـمـعـارـضـيـنـ، تمـ بـمـوجـبـهاـ تـسـلـيمـ سـلاحـ الـفـصـائـلـ، وـإـعادـةـ تـوزـيعـ الـأـدـوارـ عـلـىـ الـمـسـلـحـينـ الـمـعـارـضـيـنـ لـلـنـظـامـ، بيـنـ دـاعـمـيـنـ الـجـنـاحـ الـعـسـكـرـيـ الـرـوـسـيـ وـمـؤـيـدـيـنـ لـلـجـيـشـ السـورـيـ تـحـتـ الـوـصـاـيـةـ الـإـيرـانـيـةـ، وـأـخـيرـاًـ فـتحـ مـعـبرـ نـصـيبـ الـحـدـودـيـ معـ الـأـرـدنـ الـذـيـ بـدـاـ كـانـهـ كـاتـمـةـ لـمـاـ سـمـيـتـ مـرـحلـةـ الـمـنـاطـقـ الـمـحـرـرـةـ فـيـ جـنـوبـ سـورـيةـ عـمـومـاًـ .

وـإـذـاـ كـانـ لـاـ بـدـ مـنـ القـولـ إنـ تـرـكـياـ هيـ مـرـكـزـ الـثـقلـ شـمـالـاًـ، فـإـنـهـ مـنـذـ دـخـولـ الـصـرـاعـ إـلـىـ مـرـحلـةـ تـشـكـيلـ التـحـالـفـاتـ الـدـولـيـةـ فـيـ مـحـورـيـنـ أـسـاسـيـنـ:ـ الرـوـسـيـ،ـ وـمـقـابـلـهـ عـلـىـ التـضـادـ الـمـحـورـ الـأـمـيرـكـيـ،ـ بـدـتـ تـرـكـياـ فـيـ عـيـنـ الـعـاصـفـةـ أـكـثـرـ مـنـ غـيرـهـاـ مـنـ الدـوـلـ الـفـاعـلـةـ فـيـ الـمـلـفـ السـورـيـ عـسـكـرـيـاًـ وـسـيـاسـيـاًـ،ـ بـسـبـبـ تـذـبذـبـ الـمـوقـفـ الـأـمـيرـكـيـ مـنـهـاـ تـارـيـخـةـ،ـ وـتـقـارـبـ مـصالـحـهاـ مـعـ مـحـورـ رـوـسـياـ تـارـيـخـةـ أـخـرىـ،ـ وـانـقـاسـمـهاـ عـلـىـ نـفـسـهاـ فـيـ تـوزـيعـ أـولـويـاتـهاـ بـيـنـ الـأـمـنـيـنـ،ـ الـقـومـيـ وـالـاقـتصـاديـ،ـ ماـ جـعـلـهاـ مـرـنـةـ فـيـ التـعـاطـيـ مـعـ مـوـسـكـوـ،ـ وـحـذـرـةـ مـعـ واـشـنـطـنـ،ـ وـمـتـأـهـبـهـ ضـدـ مـعـارـضـيـهاـ فـيـ الدـاخـلـ بـعـدـ مـحاـوـلـةـ انـقلـابـ 15ـ يـولـيوـ/ـ تمـوزـ 2016ـ،ـ وـمـتـقـلـبةـ فـيـ عـلـاقـاتـهاـ مـعـ أـورـوـبـاـ،ـ وـهـوـ مـاـ يـجـعـلـ قـرـاءـ الـأـحـدـاثـ الـلـاحـقـةـ تـتـمـيـزـ بـمـنـعـطفـيـنـ أـسـاسـيـنـ:ـ

أـولـهـماـ،ـ مـاـ بـعـدـ إـسـقـاطـ الطـائـرـةـ الـرـوـسـيـةـ فـيـ الـلـاذـقـيـةـ (ـ18ـ سـبـتمـبرـ/ـ أـيـلـولـ)ـ إـثرـ الغـارـاتـ الـإـسـرـائـيلـيـةـ عـلـىـ مـوـقـعـ لـلـجـيـشـ السـورـيـ (ـبـعـدـ يـوـمـ مـنـ اـجـتـمـاعـ ثـنـائـيـ روـسـيـ تـرـكـيـ أـبـعـدـتـ فـيـ إـيرـانـ)،ـ اـدـعـتـ إـسـرـائـيلـ أـنـهـ مـخـزـنـ لـأـجـهـزةـ إـيرـانـيـةـ مـعـدـةـ لـنـقـلـهـاـ إـلـىـ لـبـنـانـ،ـ تـسـهـمـ فـيـ طـوـيـرـ مـسـتـوـيـ الدـقـةـ لـدـىـ حـزـبـ اللهـ وـفـيـلـقـ الـقـدـسـ،ـ ماـ تـسـبـبـ فـيـ إـطـلاقـ الدـفـاعـاتـ السـورـيـةـ صـوـارـيـخـهاـ "ـخـطاـ"ـ،ـ وـالـتـيـ أـسـقـطـتـ الطـائـرـةـ الـرـوـسـيـةـ،ـ مـاـ دـفـعـ مـوـسـكـوـ إـلـىـ تـحـمـيلـ إـسـرـائـيلـ مـسـؤـلـيـةـ الـحـادـثـةـ وـمـقـتـلـ 15ـ جـنـديـاـ روـسـيـاـ،ـ حـفـاظـاـ عـلـىـ شـكـلـ عـلـاقـاتـهاـ مـعـ النـظـامـ السـورـيـ أـمـامـ الشـعـبـ روـسـيـ،ـ وـحتـىـ لـاـ يـسـتـعـجـلـهـاـ بـالـانتـقامـ لـقتـلـاهـ مـنـ جـهـةـ،ـ وـلـأـنـ الـأـولـويـةـ لـدـيـهاـ لـعـقدـ صـفـقـةـ مـعـ إـسـرـائـيلـ تـمـنـحـهاـ مـهـلـةـ "ـاسـتـراـحـةـ مـحـارـبـ"ـ لـتـرـتـيـبـ أـورـاقـهاـ مـعـ إـيرـانـ،ـ وـمـحـاـصـرـتـهاـ لـإـخـرـاجـهاـ طـوـاعـيـةـ مـنـ سـورـيـةـ،ـ بـمـاـ بـيـعـدـ شـبـعـ فـكـ الـارـتـيـاطـ مـعـهـاـ قـسـرـيـاـ .

ثـانـيـهـماـ،ـ مـاـ بـعـدـ اـنـتـفاـقـ (ـبـوتـينــ أـرـدـوـغـانـ)ـ فـيـ سـوـتـشـيـ فـيـ 17ـ سـبـتمـبرـ/ـ أـيـلـولـ 2018ـ،ـ الـخـاصـ بـالـمـحـافـظـةـ عـلـىـ مـنـطـقـةـ إـدـلـبـ ضـمـنـ اـنـتـفاـقـ خـفـضـ التـصـعيدـ،ـ وـإـحـدـاثـ مـنـطـقـةـ مـنـزـوعـةـ السـلاـحـ،ـ فـيـ مـقـابـلـ فـتـحـ الـطـرـيقـينـ السـرـيـعـينـ الـلـذـيـنـ يـرـبـطـانـ جـهـاتـ الـشـرـقـ بـالـغـربـ،ـ وـالـشـمـالـ بـالـجـنـوبـ بـعـدـ إـدـلـبـ،ـ وـكـذـلـكـ يـرـبـطـانـ حـلـبـ بـالـسـاحـلـ السـورـيـ قـبـلـ نـهـاـيـةـ الـعـامـ الـحـالـيـ،ـ وـتـسـلـيمـ تـرـكـياـ مـهـمـةـ اـنـتـزـاعـ الـمـنـاطـقـ مـنـ تـحـ سـيـطـرـةـ القـوىـ الـمـتـطـرـفةـ الـتـيـ تـتـزـعـمـهـاـ جـبـهـةـ النـصـرـةـ فـيـ إـدـلـبـ .

وـعـلـىـ ذـلـكـ،ـ حـسـمـتـ مـعـرـكـةـ حـلـبـ الـصـرـاعـ الـعـسـكـرـيـ شـمـالـاًـ لـمـصـلـحـةـ التـسـوـيـاتـ،ـ عـبـرـ مـسـارـ أـسـتـانـةـ الـذـيـ تـأـسـسـ بـعـدـ الـمـصـالـحـةـ الـتـرـكـيـةـ الـرـوـسـيـةـ،ـ عـلـىـ خـلـفـيةـ إـسـقـاطـ الدـفـاعـاتـ الـجـوـيـةـ الـتـرـكـيـةـ الـطـائـرـةـ الـرـوـسـيـةـ 2015ـ،ـ وـبـدـأـتـ أـولـىـ جـوـلـاتـ بـعـدـ سـقـوـطـ حـلـبـ فـيـ يـدـ الـقـوـاتـ الـرـوـسـيـةـ بـعـدـ مـعرـكـةـ شـبـهـ أـحـارـيـةـ،ـ أـخـذـتـ فـيـهاـ تـرـكـياـ دورـ مـتـفـرـجـ خـلـالـ الـمـعـرـكـةـ،ـ وـالـوـسـيـطـ لـاحـقاـ لـتـحـقـيقـ تـسـوـيـاتـ مـيـدانـيـةـ،ـ وـلـعـبـ دورـ فـاعـلـ فـيـ تـغـيـيرـ مـوـقـعـ الـفـصـائـلـ السـورـيـةـ (ـالـمـعـارـضـةـ الـمـسـلـحـةـ)،ـ مـاـ مـكـنـ مـوـسـكـوـ مـنـ التـلـاعـبـ فـيـ الـمـلـفـ السـيـاسـيـ،ـ عـبـرـ جـوـلـاتـ أـسـتـانـةـ الـتـيـ تـصـدـرـتـ الـمـشـهـدـ بـرـعـاءـيـةـ ثـلـاثـيـةـ روـسـيـةــ تـرـكـيـةــ إـيرـانـيـةـ،ـ وـجـاءـتـ بـدـيـالـاـ لـجـوـلـاتـ جـنـيفـ الـأـمـمـيـةـ الـتـيـ بـقـيـتـ تـرـاـوـحـ فـيـ مـكـانـهاـ،ـ مـنـ دـونـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ إـنجـازـ أـيـ مـنـ أـولـويـاتـهاـ الـتـيـ مـنـحـتـهاـ لـهـاـ الـقـرـاراتـ

وذلك يعني أن أنقرة كانت بيضة القبان التي استثمرتها موسكو، عسكرياً لإنهاء الفصائل المسلحة، وسياسياً لابتداع مسارات تفاوضية تعطيلية لمسار جنيف، وفي الوقت نفسه الذي لم تستطع واشنطن الحفاظ على تركيا حليفاً قوياً لها شمالاً، إلا أنها، في الوقت نفسه أيضاً، لم تتمكن من القطيعة معها، أو الابتعاد عنها كلياً، ما جعل تركيا الثالث المكمل للمعادلتين الروسية مع إيران والأميركية مع أوروبا، أي أنها لم تحسم خياراتها وموقعها، بسبب أنها تريد دوراً أكبر مما أرادته لها موسكو في الملفين، السياسي والاقتصادي، كما أنها ترغب بعلاقاتٍ أوثق مما هو عليه واقع الحال مع واشنطن، وخصوصاً ما يتعلق بملفيها، الأمني المفتوح على ملف الكرد شمالاً، والاقتصادي الذي تنوء به حكومة أردوغان في ظل الخلافات البينية الأميركية - التركية، كما لا يمكن لإدارة ترامب تجاهل مصلحتها في استعادة التقارب مع تركيا، لضمان وجود آمن لمصالحها في الشمال السوري .

ومن خلال ذلك، يمكن فهم المتغيرات الميدانية الحالية شمالاً، والتي تسمح لتركيا بإعادة توازن الرعب مع القوات الكردية (الحليفة لأميركا)، عبر تهديداتٍ بفتح معركة وجودية معها شرق الفرات، في وقتٍ تظهر فيه الدوريات الأميركية الكردية المشتركة، وتعود أخبار وصول القوات العربية المشتركة (السعودية - الإماراتية) إلى مناطق التماس الكردية التركية للتداول من جديد، تأكيداً على استمرار التحالف بينهم، ولكن بما لا يتعارض مع سياسة الصمت على التهديدات التركية التي تعني المناطق المسيطر عليها "كردياً"، وغير الآهلة عملياً بالوجود الأميركي في شرق تل أبيض وغريها.

#### المصادر:

العربي الجديد